148209 ـ سؤال المسلم عن حال قلبه وإيمانه ؟

السؤال

هل يجوز سؤال المسلمين ـ عند اللقاء ـ عن أحوال الإيمان ، أو أحوال القلب ، فبعضهم قال لي : إن هذا من الغيب ولا ينبغي السؤال عنه ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

المشروع في حق المسلم أن يتواصى مع من لقيه بالحق من القول والعمل ، والصبر على ذلك ، والدعوة إليه ؛ كما قال الله تعالى : (وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) .
عَنْ أَبِي مَدِينَةَ الدَّارِمِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ : (كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا الْتَقَيَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ: وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، ثُمَّ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ) . رواه الطبراني في الأوسط (5124) والبيهقي في الشعب (8639) ، وقال الهيثمي في "المجمع" (10/233): " رجاله رجال الصحيح " .
قال بلال بن سعد رحمه الله :
" أخٌ لك كلما لقيك ذكَّرك بحظِّك من الله : خيرٌ لك مِن أخٍ كلما لقيك وضع في كفك دينارًا " انتهى من" حلية الأولياء " (5/225) .

أما السؤال المذكور عن أحوال القلوب ، وأحوال العبد في إيمانه بربه ، فهذا يخشى على صاحبه أن يكون وسيلة لتزكية نفسه ، أو أن يرائي به السائل أمام الناس : كأنه هو صاحب القلب المؤمن ، والمتقي لله عز وجل على الدوام ، وقد يكون فيه اتهام للمسؤول بالتقصير في حق الله تعالى ؛ أو يحمل المسؤول على التجمل بحاله عند من يسأله ، ونحو ذلك من الآفات .
ولعله لأجل ذلك ، لم نقف على مثل ذلك السؤال في أحوال السلف وأقوالهم ، ولا نعلم أنهم كانوا يسألون عن مثل ذلك .

وأما الحديث المشهور بين الناس عَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ ، ،أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ ؟ قَالَ : أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا ، فَقَالَ : انْظُرْ مَا تَقُولُ ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ فَقَالَ : قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا ، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي ، وَاطْمَأَنَّ نَهَارِي ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا . فَقَالَ : يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ . ثَلاثًا .
فهذا الحديث رواه الطبراني في " المعجم الكبير " (3/266) وهو حديث ضعيف لا يصح .

قال العقيلي رحمه الله : " ليس لهذا الحديث إسناد يثبت " انتهى من" الضعفاء الكبير " (4/455) .
وقال ابن تيمية رحمه الله : " وروى مسندا من وجه ضعيف لا يثبت " انتهى من"الاستقامة" (1/194) .

وعلى هذا ، فينبغي العدول عن مثل هذا السؤال ، الذي قد يترتب عليه بعض المفاسد ، وليكتف المسلم بالسؤال عن حال أخيه عموماً .
فيقول له : كيف حالك ؟ وكيف أصبحت ؟ ونحو ذلك .
وقد ورد مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم .
فعن عائشة رضي الله عنها قالت : (جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت ؟ قالت : أنا جثامة المزنية . فقال : بل أنتِ حسانة المزنية ، كيف كنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف أنت بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! فلما خرجَت قلتُ : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال . فقال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة ، وإنَّ حسن العهد من الإيمان) رواه الحاكم في " المستدرك " (1/62) وحسنه الألباني في " السلسلة الصحيحة " (رقم/216).
والله أعلم .